فالجماعة المتزاملة لغويا تستعمل فى لغتهـــا أصواتا وتنغيما ونحوا ومصطلحات وصيغا وألفاظا متماثلة ، إذ يربط بينهم — كما يقول فيرث — ما يتقاسمونه من تجارب مشتركة ، وهم يستمسكون بهـذا التماثل ويحرصون عليه ، لأنه شرط الفهم والإفهام فى بيئتهم الخاصة ، وإذا أخل أحدهم بهذا النظام المتماثل ، حكم على نطقه بالغرابة والشذوذ ، إلا أن ترضى البيئة عن هذا الشذوذ نفسه ، وحينئذ تنفى عنه هذه الصفة ، ليسمح له بالدخول إلى حيز الاستعمال العام المقبول .

أما اقتصار المستوى الصوابى على زمن خاص فهو ما يتفق فى استعمال اللغة مع الواقع المشاهد ، فالمرء ينطق اللغة على حسب نظامها الذى وجدها به فى عصره ، إذ تتغير اللغة من عصر إلى عصر ، وقد يكون هذا التغير بطيئا لايظهر إلا بعد مرور جيل أو أجيال ، لـكنه تغير يحدث فعلا ولاينفيه بطء حدوثه ، أو طول الزمن به .

والأفراد يكتسبون اللغة من بيئتهم وفى عصرهم الذى عاشوا فيه ، وبناء على ذلك يراعون اللغة كما تنطق فى عصرهم لا كما كانت تنطق فى عصور سبقت ، ولا كما ينبغى أن تنطق وفق نموذج مثالى لعصر ذهبى غيبته الأيام .

وقد أشار لهذا المعنى ابن رشيق بقوله « قد تختلف المقامات والأزمنة والبـــلاد ، فيحسن فى وقت ما لا يحسن فى آخر ، ويستحسن فى بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره . ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد ألا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة »[1] .

---

(١) العمدة ج ١ ص ٥٨ .